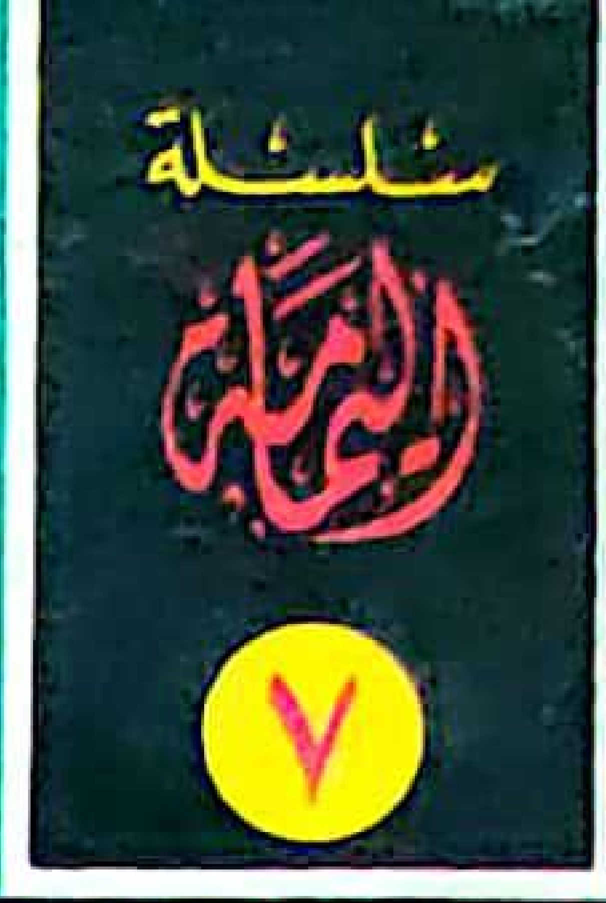


دارين والقمر

تأليف
د. أحمد مختار البزرة

مؤسسة الرسالة

سلسلة الإيمان



دارين والقمر

تأليف

د. أحمد مختار البزرة

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م



مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٨١٥١١٢ ٢٤١٦٩٢ - ٢٩٥٥٠١
ص.ب (٧٤٦٠) برقياً: بيوشران

كانت دارينُ في الرابعةِ من عُمرِها، ذوَّبَ الجمالُ في وجهِها رِقّةً وسِحْراً. واتَّقدتْ عيناها ذكاءً وفِطْنة. فكانتْ محبَّبةً لمنْ يلقاها. فيبادِرُ الصغار إلىٰ اللعب معها إذا التقوا في حديقةِ الحيّ.

وكانت الأمّهاتُ اللواتي يُصاحبْنَ أولادَهنَّ إلىٰ الحديقةِ يُسْرِعْنَ إلىٰ دارينَ يُقَبِّلْنها حُباً وعَطْفاً وإعجاباً، ويَضَعْنَ في يدِها الحلوىٰ والدُّمى الصغيرةَ، والصُّورَ ذاتَ الألوانِ البَرَّاقة.

قالت إحداهن يوماً: سُعداءُ أولئك الذين لهم طفلةٌ مثلُ دارينَ... ما ألطفَ شَمائِلَها[1] وما أصفىٰ براءتَها.

---

(١) شمائلها: أخلاقها.

وقالت جارةٌ لها: لو عاشتْ أمُّ دارينَ لكانت بيننا تَنْعَمُ بطفولةِ ابنتِها، ولكنَّ المسكينةَ ماتتْ في اللحظةِ التي وَضعَتْها فيها.

فقالت جارةٌ أخرىٰ: إنْ فقدتْ دارينُ أمَّها فقد ربحتْ أباً يربو(١) حنانهُ علىٰ حنانِ الأُمّهات. هل رأَيْنا دارينَ يوماً غيرَ فَرِحةٍ مَرِحة!.

فأجابت جارتُها: «حقاً ما تقولينَ، فما أرىٰ أباها يَعيشُ إلا لها يَتحرّى(٢) مواضعَ سعادتِها ومسرَّتِها: إنها نَجْمُ حياتِه، وكَنْزُه الثَّمينُ.

وكانت دارينُ الصغيرةُ يَجْذِبُها الإِصغاءُ(٣) في الحديقةِ إلىٰ الأقاصيصِ المُمْتِعةِ تَرْويها جارتُها أُمُّ صَفاء.

وكانت أم صفاء تحب دارين حباً جماً،

---

(١) يربو: يزيد.

(٢) يتحرى: يبحث عن.

(٣) الإصغاء: الاستماع.



وتَحْدَبُ عليها حَدَبَ الأُمَّهاتِ. ولكنَّ دارينَ كانت تَنْكَسِرُ حُزْناً كلما رأت طِفْلةً تُلقي نَفْسَها في حِضْنِ أُمِّها بَعْدَ اللَّعبِ: تُعانقها أو تَقَبِّلُها، أو تَخْطَفُ منها شَيْئاً تَأْكُلُه.

ومرّةً سألتْ دارينُ أباها:

«وأنا، يا بابا، أينَ أُمي... أليسَ لي أُمٌّ؟

تقولُ أمُّ صفاء: كلُّ طِفْلةٍ لها أُمٌّ».

أجابَ أبوها:

«بلىٰ، يا دارين، لك أُمٌّ هي خَيْرُ الأُمَّهاتِ وأَطْهَرُهُنَّ... أُمُّكِ يا دارين ليس لها في الأرضِ مثيلٌ.

فصاحتْ دارين متلهِّفةً:

ولكني، يا بابا، أُريدُها... أُريدُ أنْ أراها، أينَ هي الآنَ؟



قالَ أبوها، وقد أَظلَّتْ وَجْهَهُ كآبةٌ، وأَرْسَلَ ببصرهِ بَعيداً حائراً:

«أمك يا دارين، صَعِدَتْ إلىٰ القَمر».

سألتْ دارينُ دَهِشةً: «إلىٰ القمرِ؟ القمرِ الذي يَسْبَح فَوْقَنا في ظلامِ اللَّيلِ؟

يا اللهُ... ما أحلاكَ أيُّها القمرُ... أمّي علىٰ جبين القمر... بابا، لماذا لا نَركبُ طائرةً تَطيرُ بنا إلىٰ القمرِ... إلىٰ أمّي.

- خيرٌ، يا دارينُ، أنْ نَنْتَظِرَهَا في دارِنا حتى تعودَ.

- وإذا عـادتْ يا بـابا، هـل تَضُمّني إلىٰ صدرِها وتُعانِقُني كما تَضُمُّ جاراتُنا رَفيقاتي؟

- يا دارينُ، إن أمُّك تُقَبِّلُكِ كلَّ يومٍ وأنتِ نائمةٌ: كلما بَزغَ القمرُ، يا دارين، وأقبلَ عَبْرَ هذه

النافذةِ تَهْبطُ أُمُّكِ من القمرِ، وتُقَبِّلُكِ قُبُلاتٍ رَقيقةً حتىٰ لا تُوقِظَكِ.

- إذا رَأَيْتُها تُقَبِّلُني مرةً أُخرى فأَيْقِظْني، يا بابا، لأُعانِقَها.

أَخْفَىٰ أَبوها وَجْهَهُ بين كَفَّيْهِ الواسعتينِ وسكبَ بصَمْتٍ من عَيْنَيْهِ دُموعاً ساخنةً.

وأسرعتْ دارينُ في اليومِ التالي إلىٰ أُمِّ صفاءَ في الحديقةِ، وقالت:

«هل عَلِمْتِ، يا أمَّ صفاءَ أنَّ أُمي هناكَ في القمرِ، وأنها تَهْبِطُ منه كلَّ يوم وتُقَبِّلُني... أمس، وأنا نائمة، أَحْسَسْتُ بها تُقَبِّلُ خَدَّيَّ: أردْتُ أَنْ أَفْتَحَ عَيْنَيَّ ولكني لم أَسْتَطِعْ...

سَأَلتْ أمُّ صفَاء:

«ومن أَخْبَركِ، يا دارينُ، أنَّ أُمَّكِ صَعِدَتْ إلىٰ القمرِ؟

- أبي هو أَخْبَرَني بهذا كُلِّه.

أم صفاء، هل تزورينا عندما تعود أمي من القمر...؟ أبي قال: إنها ستعود.

أجابتْ أمُّ صفاءَ وفي وَجْهِها حَيْرَةٌ وارْتباكٌ: أَزورُكم... لا شكَّ في ذلك، سأزورُكم... كانت أمُّكِ خيرَ الصديقاتِ عندي...

- ويجبُ أن تَحْضِري معكِ رفيقَتي صفاءَ لنلْعبَ معاً في حديقةِ المنزل.

تُرىٰ متى تعودُ أمي...؟ أَظُنُّ، يا أمَّ صفاءَ، أنَّ أمّي تَعودُ في يومٍ سعيدٍ كأيام العيدِ.

أليس كذلكَ يا أمَّ صفاء.

- هذا جميلٌ يا دارين.

وأشاحتْ أمُّ صفاءَ بوجْهِها عن دارينَ، وأوْهمتْ أنَّها تنظر إلىٰ ابنتِها صفاءَ بينَ البناتِ، ومسحتْ عن خدِّها دَمعاتٍ.



وقالت أمُّ صفاءَ لأبي دارينَ:

«لا تزالُ دارينُ تحدِّثُني مُنْذُ شهورٍ عن عودةِ أمِّها من القمر إنها تَهْجِسُ بذلكَ ليل نَهارَ، وأخشىٰ عليها صَدْمةً مُهَدِّمَةً إذا اكتشفت الحقيقةَ بعدَ حينٍ. إنَّ الأَطْفالَ في هذه الأيّامِ يَثِبونَ علىٰ سُلَّم الوَعْيِ وَثْباً.

- وماذا أَفْعَلُ يا أمَّ صفاءَ، كيفَ أُبعِدُ عن هذه النفسِ المُرْهَفةِ شَبَحَ الأحزانِ ووَخْزَ الآلام؟ كيفَ أَدَعُها تعرِفُ أنّها فقَدتْ أمَّها إلىٰ الأَبَدِ؟

- ولكنْ متى تَيَقَّنتْ غداً أنَّك كُنْتَ تَكْذِبُ عليها كانتِ الخَيْبَةُ فاجعةً مُخيفةً!

أخشىٰ علىٰ دارينَ أن تَنْهار إذا انْهارَتْ أَحْلامُها.

- إذا انْهارَتْ دارينُ لم يَبْقَ لي شَيْءٌ، ولم يَبْقَ لوجودي معنىً، وسَيُسْرِعُ إليَّ الدَّمارُ.

- لا بدَّ لك أن تَصْنَعَ شَيْئاً تُنْقِذُ به ابْنَتَك ثُمَّ نَفْسَكَ.

- وكيف ذلك يا أمَّ صفاءَ.

- الأَمْرُ يَسيرٌ: احْضِرْ لدارينَ أُمّاً.

- ماذا تَقولينَ؟

- كُنْ رجلاً واقعياً لا يُمكِنُ أَنْ تَستقيمَ أُمورُ بَيْتِكَ من غَيْرِ امْرأةٍ، وإنَّ في دُنْيا دارينَ فَراغاً لا تَمْلؤُه إلا أُمٌّ حنونٌ. فاختَرْ لنفسِكَ زوجةً تُنْزِلُ دارينَ مَنْزِلَةَ ابْنتِها.

- وأنى لي بمثلِ هذهِ المرأةِ الطَّيِّبةِ؟.

- لا تخلو الدُّنْيا من الطَّيباتِ إذا لم تَخْلُ من الطَّيبين.

- يا أمَّ صفاءَ إني أَخْشى أن تُصْدَمَ دارين بقلبٍ قاسٍ ومُعاملةٍ خَشِنةٍ.

- مُعالجةُ الواقعِ خيرٌ من الأَحْلام . وإذا لم تَأْتِ الأشياءُ علىٰ ما نُحِبُّ ونهوىٰ، فإنَّنا نَستطيعُ بالحكمةِ والمُداراةِ أن نَجْعَلها كما نُحبّ ونَهْوىٰ.

- إنكِ علىٰ كثيرٍ من الحقِ. ولكن. . . .

- ولكن. . . لا تتردَّدْ ابْحَثْ عن أمٍّ لدارينَ. الأَمْرُ من الخطورةِ بمكانٍ.


- إذنْ أعينيني، يا أُمَّ صفاءَ، علىٰ اختيارِ تلكِ الأُمِّ.

- لن أُقَصِّرَ في مُساعدِتك.

- وتَنَبَّهَتْ دارينُ في مُنْتصفِ ليلةٍ من الليالي علىٰ صوتِ أبيها.

- دارينُ. . . دارينُ. . .

فتحتْ دارينُ عَيْنَيْها قليلاً ثم عادتْ إلىٰ النوم



ـ دارينُ... انْظِري مَنْ عِنْدَك، يا دارينُ...

استيقظتْ دارينُ ثم جلستْ في سَريرِها ونظرتْ إلىٰ ما حَوْلَها كمنْ يَنْظُرُ إلىٰ أشياءَ غريبةٍ فرأتْ أباها وأمَّ صفاءَ وامْرأةً شابّةً في مُلاءةٍ بَيْضاءَ هَفْهافةٍ. وقالَ أبوها:

ـ دارينُ... ألا تُعانقينَ أُمَّك؟ الآنَ قد عادتْ من القمر. انظري إليه إنَّه يُطِلُّ عليكِ من النافذةِ...

نظرت دارينُ إلىٰ القمرِ وإلىٰ المَرْأةِ في ثيابِ العُرْسِ، ثم ذَهَبَ عنها أثرُ النوم، فقفزتْ من سريرِها تُعانِقُها، وتَبْكي، وتقول:

ـ ماما... ماما... انْتظرتُكِ حتى كِدْتُ أموتُ شوقاً إليك، يا ماما... متى عُدْتِ من القمرِ... الآنَ؟

سأُغْلِقُ النافذةَ حتىٰ لا تُسافري مَرَّةً أُخرىٰ إلىٰ القمر. . . باللهِ لا تَتْرُكينا أبداً. أنا أُحِبُّكِ، يا ماما. . . نامي في سريري، يا ماما، أرجوكِ.

وبادَلَتْها المرأةُ الشابَّةُ القُبُلاتِ، وضمَّتْها بحرارةٍ إلىٰ صدرِها.

وقالت أمُّ صفاءَ:

ـ دارينُ، يا عزيزتي، سريرُك صغيرٌ، نامي وَحْدَك كما كُنْتِ تَنامين. وثِقي أن أمَّكَ لن تَذْهَب إلىٰ القمرِ ثانيةً، وقريباً سَنَلْتَقي في الحديقةِ أُمُّكِ ستكونُ أيضاً معنا. . . عندي لكِ حكايةٌ مُشَوِّقةٌ. . . اسْتَعدّي. . . غداً أو بَعْدَ غد.

وعادتْ دارينُ إلىٰ سريرها من غير رغبةٍ، وقالتْ لأمِّها:

ـ أمي، أهذه الثيابُ الرقيقةُ من نَسيج القمر؟

ـ أجل، يا دارينُ، وسأَطْلُبُ منه أن يَنْسُجَ

لك واحدةً عندما تُصْبحينَ فتاةً كبيرةً.

- شكراً، يا ماما، أُريدُها بيضاءَ، هكذا، في بياضِ الثلجِ.

- إن شاء الله يا دارين.

قال أبوها:

- نامي، يا دارينُ، قد عادتْ إلينا أُمُّكِ.

وغاصتْ دارينُ في فِراشِها، وسحبتْ فَوْقَها الغِطاءَ والابتسامةُ تَضْحكُ في مُحَيَّاها البَريءِ الساحرِ، وقَلْبُها مَغْمورٌ فَرَحاً. والتفتتْ إلىٰ القمرِ، ولَوَّحتْ له بيدِها، وقالتْ:

«شكراً لكَ، أيُّها القمرُ، قد أَعَدْتَ لي أمّي.. صَحِبَتْكَ السَّلامةُ».

واستيقظتْ دارينُ مع شُعاعِ الشَّمْسِ الأوّلِ. فغَسَلَتْ وَجْهَها، ومَشَطتْ شَعْرَها،

واندفعتْ إلىٰ غُرفةِ أبيها، وألْقتْ بنفسِها علىٰ أُمِّها تُقَبِّلُها، وتَقولُ:

- طاب صَباحُك، يا أماه؟

- طابَ صَباحُك، يا دارينُ، كانَ لكِ أنْ تَنامي أكْثَر مما نِمْتِ يا دارينُ. . .

- اعْذُريني، يا أماه، إني إليكِ مُشْتاقةٌ يا لها مِن ليلةٍ طـوِيلةٍ. . .؟ كُنْتُ أخافُ ألَّا تُشْـرِقَ الشَّمْسُ. . . ألم يَتأَخَّرْ شُروقُ الشَّمْسِ يا ماما

ضحكتْ زَوْجَةُ أبيها، وقالتْ:

- هذا شعورُك، أنتِ يـا دارينِ، الشَّمْسُ تُشْرِقُ في ميعادٍ مَعْلومٍ. . .

وانْـدَسَّتْ دارينُ في الفِراشِ إلىٰ جَـانِبها، وألقتْ رأسَها علىٰ صَدْرِها، وراحتْ تُحدِّثُها عن عالمِها الصغيرِ. . . عن الجاراتِ الكريماتِ، وعن رفيقاتِها، وعن أمِّ صفاءَ. . .

ـ كلُّ أولئك يُحْبِبْنَكِ، يا دارينُ؟ ما أَسْعدكَ! سأُحِبُّك مثلَهم.

ـ سَتُحِبينّني يـا مامـا..؟ ألم تُحِبيني قَبْلَ الآنَ؟

ـ بلى... عفواً... أعني لا أُريدُ أحداً أن يُحبَّكَ أكثرَ مما أُحِبُّكِ أنا.

ـ شُكْراً، يا مـاما، أحبِّيني، فـأنا عَـظيمةُ الحُبِّ لك.

ـ ولكن، يا دارينُ، إذا أرَدتِ أن يَزْدادَ حُبي لكِ فإنَّ عليكِ أن تَسْمعي نَصائحي.

ـ نَصائِحَكِ وَحْدَها أَسْمَعُ، يا ماما.

ـ حَسَناً، يا دارين، عندما تُريدينَ دُخـولَ الغُرْفَةِ علىٰ أحدٍ فاقرعي بابَها، ولو كانتْ غُرْفَةُ أبيكِ وأمكِ.

ـ سمعاً وطاعةً، يا ماما...

وراحت دارينُ تَسْعىٰ بين يديْ أُمِّها في كلِّ مكانٍ من الدارِ، لا تُريدُ أن تَبْتَعِدَ عنها أبداً.

كانت دارينُ تَتدفَّقُ فَرحاً، ومَنْ نظر إلىٰ وَجْهها خال[1] فيه نُوراً ساطعاً يَتوهَّجُ من مشاعِرِها السعيدةِ.

وعادَ أبوها في المساءِ فارْتدتْ ثوباً زاهياً جديداً، وجَلَستْ على الأَريكةِ بينَه وبين أُمِّها تارةً تَطْبَعُ علىٰ خَدِّهِ قُبْلةً، وتارةً علىٰ خَدِّها قُبْلةً.

راحتْ دارينُ تَتحدَّثُ عن أعمالِ البيتِ، وكيف سمحتْ لها أُمُّها بمساعدتِها وأَبوها يُصْغي لها والبَشاشَةُ تَمْلأُ أساريرَ وَجْهِه، والرِّضا يَغْمُر قَلْبَه.

ما أَسْعدهُ إذْ وجدتْ دارينُ مَنْ يُسْعِدُها.

وحانتْ من دارينَ نَظْرةٌ إلىٰ وَجْهِ أُمِّها،

(١) خال: ظن.

فوَجَدَتْها مُقطِّبةً عابسةً. فارْتاعتْ(١) وأسندتْ ظهرَها إلىٰ صدْر أبيها قائلةً:

«أمي... ماذا بكِ؟

أجابت أُمُّها بنبرةٍ مَلأى بالضِّيقِ والتَّذَمُّرِ:

«لا شيءَ... لا شيءَ..».

- لماذا لا تَبْتسمينَ، لم لا تَضْحكينَ؟

- يا دارينُ، إن للصِّغارِ مكاناً يَجْلِسونَ فيهِ، وللكبارِ مكاناً... لا يَحْسُنُ بكِ أَنْ تَجْلِسي بَيْني وبينَ أبيكِ.

- أنتِ، إذن، غاضبةٌ عليّ، ولكنّه أبي ما جلسْتُ أبداً بعيدةً عنه. وأنتِ أمي التي انْتظرْتُها طويلاً حتى رجعتْ إلينا من القمرِ، كيف لا أَجْلِسُ بجانِبك القريبِ؟

---

(١) فارتاعت: فخافت.

ـ قال أبوها:

ـ اجْلسي منا حيثُ شئتِ، يا دارين، قَلْبانا يَتَّسعانِ لك.

فنهضتْ أمُّها علىٰ غضبٍ، واتجهتْ إلىٰ حُجْرتِها.

بكتْ دارينُ وذهبتْ إليها تَرْجوها أن تعودَ إلىٰ مَجْلِسها وقالت:

«إني أُحِبُّك... أُحِبُّ أن أكون مَعكِ. طالما حَلَمْتُ الليالِيَ الطويلةَ أن أَجْلِسَ علىٰ رُكْبَتَيْكِ وأُقَبِّلَ خَدَّيْكِ».

ـ اذهبي، يا دارينُ، إني مُتعبةٌ، وأريدُ أن أنامَ.

خرجتْ دارينُ من الغُرْفةِ مُطْرقةَ الرَّأْسِ، حزينةً، كأنَّها فقدتْ أملاً كبيراً.

وقال لها أبوها: «اعْذُري أمَّك هذهِ الليلةَ:

تعلمينَ المُسافرَ يَعودُ من أَسْفارِه متعباً. . . حسناً، يا دارين، ألا تَنامين مُبَكِّرةً؟ فقد استيقظتِ مبكرةً، وغداً ستكونُ أمُّك راضيةً».

وقال الأَبُ لزوجَتِه:

«ما الذي ساءَكِ من جُلوسِ دارين بَيْنَنا. . . إنها لا تَكادُ تُصدِّقُ أنّ لها أماً. كان عليكِ أن تَرْعيْ أحاسيسَها الغَضَّةَ كما تَعْتنينَ بزُهور هذا الإناءِ».

فأجابَتْهُ بلهجةٍ حادّة: «إن كنتَ تُريدُني أن أكونَ لها أُماً فَدَعْ لي تَرْبِيَتَها وتَوْجِيهَها».

- إنّكِ لم تَعْرفي دارينَ، بَعْدُ، حَقَّ المَعْرفةِ، ولا بدَّ أن يكونَ قَلْبِي حاضراً عندَ تَوْجيهاتِك. قد كنتِ هذهِ الليلةَ غَنِيَّةً عن هذه القَسْوةِ. . . احذري أن تُسيئي إلىٰ ابْنتي حينَ تَظُنينَ أنَّكِ تُريدينَ لها الخَيْرَ.

وخرج إلىٰ مَتْجره في اليوم التالي. فنادت زَوْجتُه دارينَ لتُنَظِّفَ أَرْضَ المَنْزِلِ غُرْفةً غُرْفةً.

أجابتْ دارينُ ببراءةٍ: «ولكني، يا أمّي، لم أُمْسِكْ مِكْنسةً ولا مِمْسحةً، بعدُ».

ـ لستِ صغيرةً جداً، يا دارين، إذا كُنْتِ تُحبّين أُمَّك فيجبُ أنْ تُساعديها.

حاولتْ دارينُ تَنْظيفَ الغُرَفِ ولكنَّ خِبرَتها كانتْ ضعيفةً، فما نجحتْ في إزالةِ الغُبارِ، وتَلْميعِ الرُّخامِ وتعبتْ يدَاها الصَّغيرتانِ ثم تَعَثَّرتْ بالمِكْنسةِ ودَلْوِ الماءِ فوقعتْ واتَّسخَ ثَوْبُها.

وجاءتْ زَوْجَةُ أبيها وَعَنَّفَتْها تعنيفاً شديداً، وهي تقول:

«إنَّكَ، يا دارينُ، لا تَصْلحينَ لعملٍ نافع».

وعندما هيَّأتْ طعامَ الغَداءِ جمعتْ لها القُدورَ

والأَوانيَ، وقالتْ: يا دارينُ، اغْسلي هذهِ الأَشْياءَ، وأَحْسني تَنْظيفَها.

وقفتْ دارينُ علىٰ كُرْسيٍّ قَصيرِ القوائمِ تَغْسِلُ الآنيةَ، ولكنّها لم تَتمكَّنْ من وَقْفَتِها، فوقعتْ علىٰ الأرضِ، وانهالَ بعضُ الصُّحونِ على الأَرْضِ فتكسَّرتْ أَشْتاتاً مُبَعْثرة وجُرحتْ يدا دارينَ وشَفَتُها، وسالَ الدَّمُ علىٰ أَرْضِ المَطْبخِ.

وذُعِرَتِ الصَّغيرةُ للدَّمِ يَسيلُ منها، وانفجرتْ باكية. ولم تَجِدْ من أُمِّها رِفْقاً ولا عَوْناً.

وقَالتْ لها:

«يا لكاعِ، انْهضيِ واغْسِلي يَدَيْكِ وفَمكِ وبدِّلي ثَوْبَك».

أوتْ دارينُ إلىٰ غُرْفَتِها لا تَكادُ تُصَدِّقُ أن تكونَ أُمُّها علىٰ هذهِ القَسْوةِ، ودفنتْ وَجْهها الصَّغير في الفِراشِ تبكي.



وعندما دخل عليها أبوها الغُرْفةَ في المساءِ وجدها نائمةً، ووجد جسدَها النحيلَ يَشْتَعِلُ بالحمّىٰ.

ارتاعَ الرَّجُلُ أيَّ ارْتياعٍ للجُروحِ في يَدَيْها ووَجْهها، وللحرارةِ اللاّهبةِ فيها، وأَصْغى إلىٰ دارينَ تَهْذي من غير انقطاع.

«عُودي يا أُمي من حيثُ جئتِ.. أيُّها القمرُ، تعالَ واحْمِلْ أُمي علىٰ ظَهْرِك إلىٰ بَعيدٍ...».

واستَدْعىٰ والدُها أمَّ صفاءَ فاطَّلعَتْ علىٰ المُعاملةِ القاسيةِ التي لَقِيَتْها دارينُ.

قالتْ أُمُّ صفاءَ للزوجة:

لم يكنْ لهذا الرجلِ حاجةٌ بكِ إلا مِنْ أجْل دارينَ.

قالت الزوجةُ: وهذا ما يُضايقني.

قالت أمُّ صفاءَ: ولكنكِ عرفْتِ ما يُريدُ منكِ.

وهل كلَّفك بغيرِ رِعَايتِها والحُنُوِّ عليها؟ ليس جميلاً أَن نَغْدُرَ بالنّاس، وأن نَتنكّرَ لهم، وأن نَظْلِمَ الصِّغَارَ الضُّعَفَاءَ. تذكّري أنكِ ستكونين أُماً بعدَ حينٍ. كيف بكِ إذا وجْدتِ ابْنَتَك مُهانةً بيد غَيْرِكِ.. عجباً لكِ ألا تَستطيعينَ أن تُحبّي هذه الطفلة البريئةَ في بَراءةِ الملائكةِ.

قالت الزوجة:

«إني أردْت أَنْ أُحبَّها، ولكنّي رأيتُها في الدّارِ كلَّ شيءٍ وتُريدُ أن تكونَ كلَّ شيءٍ، وكأني أنا لا شيءَ اعْذريني: لا أستطيعُ أن أكونَ ظِـلاً لهذه الصغيرةِ».

قالت أم صفاء:

«يا لكِ من أَنانيةٍ مُحِبَّةٍ لذاتِك حَسودٍ لغيرِك. أنت عند نَفسِك أَصْغَرُ من هذهِ الطفلةِ شأناً. لم لا تكونينَ عظيمةَ النَّفْسِ كبيرةَ القلبِ. لم لا تعطفينَ على هذه البريئةِ المحرومةِ عطف الشجرةِ الوارفةِ

الأغصانِ علىٰ الأَزْهارِ البَرِّية النابتَةِ عند جَذْعِها. إن الصِّغار لا يَحْيَوْنَ بغير الحُبِّ، إنهم يَرْضعونَ الحُبَّ من أَثْداءِ أمهاتِهم. فإذا سقيناهم البُغْض أَفْسَدْنا حياتَهم كلَّها.

انْـظري إلى الحمّىٰ التي تَسْتَعِـرّ[١] في جوانحِ[٢] دارينَ هل هي إلا خيبةُ الأملِ فيكِ.

كلا.. لا تكوني الظالمةِ الطاغيةَ في عالمِ هذه الطِفْلةِ، أَغْدِقي عليها من حَنانِك غَيْثاً مِدْراراً[٣] فلن تندَمي لأنك ستسقينَ بهذا الحنانِ غَرْسةً ظَمْأىٰ سَتَنْمو به شجرةٌ مِعطاء تَحْمِلُ ثِمارَ المحبّةِ. وأَنْتِ أَوَّلُ من يَجْني هذهِ الثِّمارَ.

قالت الزَوجة:

«وا أسفاه! كم كنتُ قصيرةَ النَّظرِ حقيرةَ

---

(١) تستعر: تشتغل.

(٢) جوانح: جوانب.

(٣) مدراراً: فيضاً كثيراً.

الهَدَفِ! اسألُ اللهُ المَغْفِرَةَ والسَّدادَ[1]. ولله عليَّ العَهْدُ أن أُعطيَ هذهِ الصَّغيرةَ خيرَ ما عندي من المَحبةِ والإخلاصِ». وأخرجتْ منديلَها، وبكتْ بكاءَ النادماتِ، واقتربَتْ من سريرِ الطفلةِ، ووضعتْ يَدَها على خَدِّها تَقولُ:

«دارينُ، أي حبيبتي، سامحيني».

وجاء الطَّبيبُ، وعالجَ الصغيرةَ، وأوصىٰ لها بدواءٍ وسَهَرٍ وعنايةٍ.

ووقفتْ الزوجةُ ليلها ونهارَها علىٰ دارينَ لا تُفارِقُها، فكانت إذا فتحتْ عينيها لتشربَ ماءً أو دواءً انْحَنَتْ عليها، وقبَّلَتْها، ومسحتْ علىٰ جَبينها، وهشَّت لها، وابتسَمتْ، وناجتها بكلماتٍ عذبةٍ حَبيبة.

---

(١) السداد: الطريق الصواب.

وتنفستْ دارينُ أنفاسَ الشِّفاء والعافية، وعاودَتْها القُوَّةُ. ونظرت حولَها لترىٰ أُمَّها تَبْتَسِمُ لها دائماً وتُداعبها.

وذاتَ مساءٍ جاءتْ إليها بدُمْيةٍ كبيرةٍ جميلةٍ، وقالتْ: هذه هَدِيَّتي لك يا دارينُ؟ حملت دارينُ الدُّمْيةَ وأُعْجِبتْ بها، وأمسَكتْ بيدِ أُمِّها، وقَبَّلَتْها. والْتفتتْ إلىٰ النافذةِ فإذا القَمَرُ يَقْتَرِبُ، فصاحتْ دارينُ خائفةً فَزِعةً:

- بابا... بابا أَغْلِقْ، باللهِ، النافذةَ.

- ولِمَ، يا حبيبتي؟.

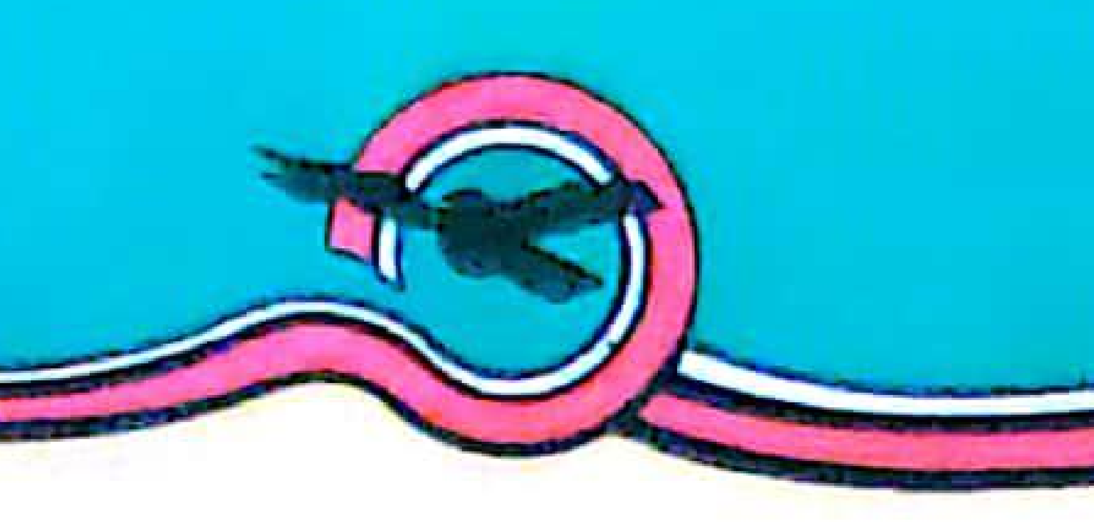
- القمرُ يقترِبُ: لا أُريدُ أن تَصْعَدَ أُمِّي إليه ثانيةً.

أَكَبَّ الأَبُ وزَوْجَتُهُ علىٰ دارينَ وغَمَرا وَجْنَتَيْها بقبلاتٍ سَعيدةً.

المنـاقشة والتـدريب

١ ـ كان الصغار والكبار يحبون دارين ويعطفون عليها: لماذا؟
٢ ـ كان والد دارين عطوفاً عليها: كيف كان يفعل؟
٣ ـ متى كانت دارين تبدو أحياناً حزينة؟
٤ ـ قالت دارين: ما أحلاك أيها القمر. . : لماذا قالت هذا القول؟
٥ ـ لماذا خشي الأب أن يخبر ابنته بموت أمّها؟
٦ ـ قالت أم صفاء: «لا تخلو الدنيا من الطيبات إذا لم تخل من الطيبين»، ما معنى قولها، وما رأيك فيه؟
٧ ـ كيف استقبلت دارين أمّها الجديدة؟
٨ ـ ما الثوب الذي أرادته دارين؟
٩ ـ بماذا أوصت الزوجة دارين؟
١٠ ـ حذر الأب زوجته من الإساءة إلى دارين: ماذا قال لها؟
١١ ـ عاتبت أم صفاء الزوجة ونصحتها: أذكر بإيجاز ما قالته لها.
١٢ ـ لماذا صاحت دارين: «بابا، أغلق النافذة»؟
١٣ ـ هات أضداد الكلمات التالية: يربو ـ مرحة ـ يتحرى ـ ينهار ـ يتوهج ـ البشاشة ـ رفق.
١٤ ـ ابحث عن هذه الجمل في أماكنها من القصة، واكتب في دفترك معنى كل تركيب: اظلّت وجهه كآبة ـ أشاحت بوجهها ـ تهجس ليلَ نهارَ ـ الأطفال يثبون علم سلّم الوعي وثباً ـ الأمر من الخطورة بمكان.

سلسلة اليمامة



تطلب جميع منشوراتنا من :

الشركة المتحدة للتوزيع

بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة

هاتف ٣١٩٠٢٩ - ٣٠٩٥٥ - ص.ب ٧٤٦٠ - برقيا: موزعة